الدرر المقدسية
منبر فلسطين للعلم والدعوة والتربية

مجلة الدرر المقدسية

مجلة دعوية تربوية، تصدر شهرياً عن مؤسسة الدرر المقدسية | العدد (40) - حزيران يونيو 2025م

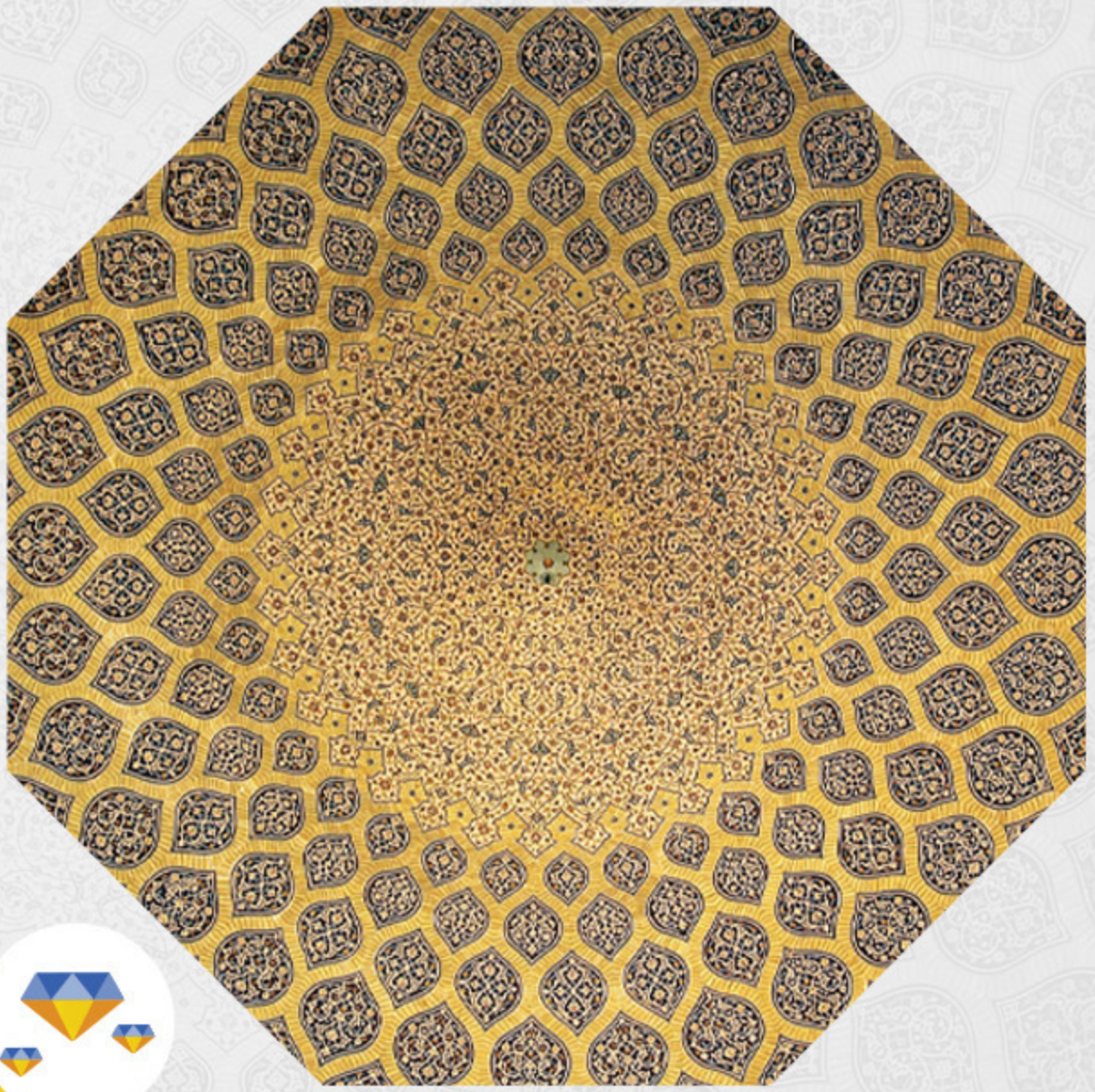

أهميّة المال والاقتصاد بالنّسبة للشّعوب المُستّضعفة
د. أيمـــــن الدبّاغ

وقفة مع حديث: { لا تزالُ طائفةٌ مِنْ أُمّتي ظاهريـــنَ على الحقّ}
د. رياض ناصـــر

دعـــــوة للصمود والرباط
أ. محمـــــود الحجار

كيف نُربّي أبناءنا على الصمود في ضـــــوء السيرة النبوية
أ. زياد عبدالله طروه

معالم الثبات في كتاب الله
أ. رضوان أبو ثابت

الفهرس

الفهـــــرس.....01

الافتتاحيـــــة 02

أهميّة المال والاقتصاد بالنّسبة للشّعوب المُستّضعفة، د. أيمن الدّبّاغ.....03

وقفة مع حديث: { لا تزالُ طائفةٌ مِنْ أُمّتي ظاهرينَ على الحقِّ}، د. رياض ناصر ...04

كيف نُربّي أبناءنا على الصمود في ضوء السيرة النبوية، أ.زياد عبدالله طروه.....05

معالم الثبات في كتاب الله، أ. رضوان أبو ثابت 06

دعوة للصمود والرباط، أ. محمود الحجار.....08

في ظلال قوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ ..)، أ. إبراهيم الجالودي.....09

نساء فلسطين، ركائز الثبات.....11

المعلم ورسالة الثبات، أ. وليد حسن محمد عبدالرحمن.....12

قصيدة بعنوان: (أنا وَطَنٌ)، أ.معالي بشارات 13

الافتتاحية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده،

الإخوة والأخوات قرّاء مجلتنا الغرّاء... تقبل الله طاعتكم في خير أيام الدنيا، ونحن نستقبلها مع عدد جديد من هذه المجلة الرائدة، التي ضمت مقالات لفئة جليلة من علماء فلسطين، جادت أقلامهم بالحكمة والعظة والعبرة، فكانت كلماتهم نورا يشع كشعلة لا تنطفئ مهما اشتدت رياح الظلم والبغي. فهم من أرض فلسطين الأرضِ التي اختارها الله ميدانًا لاختبار الإيمان، ومدرسةً لتعليم الأجيال معاني الصمود والعزة. في هذا العدد من مجلتنا، نستلهم من فلسطين دروسًا في الصبر الجميل والثبات الأصيل، حيث يتجلى الإيمان في أبهى صوره، وتتجسد الإرادة في مواجهة المحن.

الثبات في فلسطين ليس مجرد موقف، بل هو عقيدة راسخة، ونهج حياة يتوارثه الأبناء عن الآباء. إنه صبر المرابطين في المسجد الأقصى، وثبات الأمهات اللواتي يزرعن الأمل في قلوب أبنائهن، وعزيمة الشباب الذين يحملون راية الحق رغم قسوة الاحتلال. إن قصص فلسطين ليست مجرد حكايات، بل هي ملاحم تروي كيف يتحول الألم إلى أمل، والضعف إلى قوة، واليأس إلى إصرار.

في هذا العدد، نسعى لنسلط الضوء على هذه القيم العظيمة، مستلهمين من القرآن الكريم والسنة النبوية، حيث يقول الله تعالى: {وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ}، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما أعطي أحد عطاء خيرًا وأوسع من الصبر". نستعرض تجارب وآراء وأفكارًا تدعو إلى تعزيز روح الصبر والثبات في نفوس الأمة، ليس فقط في فلسطين، بل في كل ميدان يواجه فيه المسلم تحديات العصر.

أيها القرّاء الكرام.. فلنكن مع فلسطين قلبًا وقالبًا، ولنحمل في قلوبنا وأقلامنا رسالة الصبر والثبات، فإن النصر مع الصبر، والفرج مع الكرب، وإن مع العسر يسرًا. نسأل الله يكتب لنا نصرا عزيزا، وأن يجعل صبرنا وثباتنا مفتاحًا للعزة والتمكين.

أهميّة المال والاقتصاد
بالنّسبة للشّعوب المُستضعفة

د. أيمن مصطفى الدّبّاغ
رئيس قسم المصارف الإسلاميّة - كليّة الشّريعة، جامعة النّجاح الوطنيّة

قوام الحياة –بحسب القرآن الكريم- أمران: الدّين، والمالُ، هكذا وصف الله تعالى كلًّا منهما في كتابه، فقال تعالى: (جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) [المائدة: 97]، وقال تعالى: (وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمْ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً) [النّساء: 5]، وقوام الأمر عصبه الّذي لا يقوم إلا به، وهكذا هو الدّين والمال بالنسبة للحياة والنّاس، ولذلك جعل علماء الشّريعة المحافظة على الدّين وعلى المال من مقاصد التّشريع الإسلاميّ الخمس الضّروريّة. وهدف علم الاقتصاد الإسلاميّ المحافظة على المال في إطار القِيَم الإسلاميّة.

والمحافظة على المال تكون من جانبين: جانب العدم، وجانب الوجود.

أمّا المحافظة عليه من جانب العدم، فتعني منع كل ما يُعدمه أو يُذهبه، ومن هنا حرّم الإسلام الإسراف والتبذير والتّرف وإتلاف المال وأكله بين النّاس بالباطل.

وأمّا المحافظة عليه من جانب الوجود، فتعني تنميته وتثميره وتكثيره، بالعمل والاستثمار بالطّرق الحلال.

والمال بين النّاس مصدر قوّة كبير، وينبغي على كل مسلم أن يحرص على إيجاد هذه القوّة والمحافظة عليها وتعزيزها، وذلك يدخل –ولا شكّ- في وجوه القوّة الّتي أمر بها الله تعالى في قوله (وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ) [الأنفال: 60]، والنّبي الكريم صلى الله عليه وسلم حين قال: "المؤمن القويّ خير وأحبّ إلى الله من المؤمن الضّعيف"، رواه مسلم.

ومن الملاحظ في المجتمعات والنّاس وما أودعه الله فيهم من سنن، أنّ استقلال المرء الفرد، والأمّة –أيّ أمّة- بأكملها، يعتمد إلى حدٍّ كبير على امتلاك قوّة المال والاستقلال بها، وما استُرق أحدٌ ولا ابتُزّت أمّة، إلا من هذا السبيل.

وقد حرص الإسلام على تعزيز هذا الجانب المهمّ من القوّة ومن قوام الحياة عند المسلم والأمّة، فأمره بالسّعي إلى العمل وابتغاء الرّزق في مناكب الأرض، وعدّ ذلك منه عبادة يؤجر عليها، وإنّ من الذّنوب ما لا يكفّره إلا الهمّ في طلب الرّزق، كما يقول النّبيّ الكريم صلى الله عليه وسلم، وأمره بطيب الكسب، وحسن التّصرّف فيما يملك، والرّشد فيما ينفق.

كما أمر الإسلام بالاعتماد على الذّات لا على الآخرين. وبقدر ما يعتمد المرء على نفسه والأمّة على أبنائها، تستقلّ بنفسها وتملك أمرها في مواجهة أعدائها. والشّعوب الّتي تعتمد على غيرها في أكلها ومعيشتها وصناعتها واقتصادها تفقد -حتمًا- سيادتها واستقلالها وقرارها السّياسيّ الحقيقيّ.

ويزداد الإلحاح في طلب الاستقلال الاقتصاديّ والماليّ بالنسبة للشّعوب الواقعة تحت احتلال حقيقيّ، فإنّ من أهمّ أدوات الاحتلال في إدامة نفسه السيطرة الاقتصادية على من يقع تحت الاحتلال والتّبعيّة الماليّة، وتحويل أهداف هذه الشّعوب من أهداف في التّحرّر إلى هدف صغير في مجرّد العيش.

وذلك يقتضي من هذه الشّعوب أن تبذل أقصى ما تستطيع للتّحرّر الاقتصاديّ سبيلًا للتّحرّر من الاحتلال المادّيّ. وإنّ من أهمّ سبل هذا التّحرّر اتّباع تعاليم الإسلام في تحصيل المال والمحافظة عليه من جانب الوجود بتثميره وتكثيره، ومن جانب العدم بمنع إهداره وتبديده، وأن تعتمد على مواردها البسيطة في الزّراعة والصّناعة، لتستغني بذلك عن الارتهان للعمل عند عدوّها، وأن تتعزّز عندها إرادة المقاطعة لكلّ ما يتصلّ بالاحتلال أو يدعمه، وأن تقتصد في معيشتها، وترتبط بأرضها بالثّبات والرّباط، ولا تكون الدّنيا أكبر همّها، وأن لا تنساق وراء ثقافة الاستهلاك والشّراء بالدُّيون والأقساط، تحقيقًا لرفاهية كاذبة خادعة، ترهنها للمطالب المادّيّة، وتثقلها بالدّيون والمطالب الماليّة، وهو ما يزيد من تبعيّتها، ويبعدها عن المطالب السّامية في الحرّية والكرامة والدّفاع عن المقدّسات والاستقلال، وتطيل الأمد اللّازم لتحرّرها.

وقفة مع حديث

{ لا تزالُ طائفةٌ مِنْ أُمِّتي ظاهرينَ على الحقِّ}

د. رياض ناصر
دكتوراه في الفقه والأصول

للوهلة الأولى قد يبدو الكلام عن هذا الحديث من الأمور السلسة الميسورة، ولكنك كلما وقفت مع هذا المتن النبوي الشريف، تدرك العجز أمام المعاني المركوزة، والكنوز المذخورة، ولكن لا بد من الإشارة أولاً الى روايات هذا الحديث، وما يمكن أن يدور حولها من خلاف، فأصل المتن في الصحيحين، بينما يعتمل الجدل حول زيادات كثيرة، جدل حول ثبوتها، وجدل حول معانيها.

- فمثلاً الزيادة التي تحدد مكان هذه الطائفة وتحصره في بيت المقدس، ضعّفها الألباني في الوقت الذي يؤكد الهيثمي أن رجالها ثقات.

- وزيادة أخرى انفرد بها مسلم تقول: { لا تَزالُ طائِفَةٌ مِن أُمَّتي يُقاتِلُونَ.....}، وفي زيادة أخرى لمسلم: {لا تَزالُ طائِفَةٌ مِن أُمَّتي قائِمَةٌ بأَمْرِ اللهِ....}، وفي صحيح الجامع {إذا فسَدَ أهلُ الشَّامِ فلا خيرَ فيكم ؛ لا تزالُ طائفةٌ من أُمَّتي منصورينَ.....}

- فهل يمكن حصر هذه الطائفة بمكان ما، أو وظيفة ما، وهل يتنزل الحديث واقعًا على أرض غزة بما يدور فيها؟

مساحةٌ للجدل لا تحسم، إذ يرفض البعض تخصيص المكان، ويذهب البعض الى القول بأنهم أهل العلم، بل منهم من قال: أهل الحديث خاصة، وهناك من يرى أنهم طائفةٌ متفرقةٌ في كل الميادين وشتى المجالات.

- ضغط اللحظة وظلال الأحداث، تجعل القلوب تهوي والعقول تنجذب إلى الخطاب الذي يلازم بين الحديث وبين ما يجري في غزة، وهذا أمر بدهي، فكل مخلص ملذوع من واقع الأمة، يتأمل أن يكون الحديث بشارة خيرٍ وعاقبة فخرٍ، لما تتفطر منه القوب وجعا لغزة.

ولكن لابد من تحليل بعض العبارات أولاً، ثم نأتي للظلال العامة

ثانيًا: طائفةٌ من أمتي: هم جماعة من الأمة وليسوا كل الأمة، ويوحي الأمر بحيادية الجسم الأعظم من الأمة، وفي نفس الوقت هذه الطائفة لا تطرح نفسها بديلاً عن الأمة، لأنهم (من الأمة)، فلا ينزع تميزهم الانتماء عن غيرهم.

على الحق: وكأن الحق جوادٌ يمتطى، أو مركبٌ يمخر عباب البحر، وكأن الحق يعطيك استعلاءً وشموخًا رغم قسوة الحال وشدة الظروف

ظاهرين: والظهور معنوي ومادي، بالفكرة، في تلائم الحال والسلاح والقتال، في الصبر والصمود، في قوة حقك أمام حق قوتهم وزيفهم.

لا يضرهم: القرآن والسنة يفرقان بين الضر والأذى، فكل ما يلمُ بنا من خطوب لا يتعدى الأذى، حتى إزهاق الأرواح، فلو تأملت القدر، فالموت من الأذى الظاهر، ولكنه في الحقيقة أفضل هيئة تنهي بها الحياة إذا انتهى أجلك.

وبعد: فلن أغرق في نقاشات طويلة حول حصر هذه الطائفة ببيت المقدس أم لا، ثم حصرها في وظيفةٍ محددةٍ أم لا، ولكنني أقول إن هذا الحديث أصدق حالةٍ تتمثله اليوم هي حالة غزة، وهب أن عصرًا من عصور المسلمين كانت الطائفة في أي بقاع المسلمين، أو في أي فئاتهم وجماعاتهم، فهي اليوم في غزة حتمًا.

-لأن غزة طائفةٌ من الأمة، بل محط أنظار الأمة ومحركها ـ ولأن غزة لم تدع يومًا أنها تختزل الأمة أو تستأثر بالحقيقة، بل هي غزة المتواضعة دومًا.

فهي لم تطلب البيعة من أحدٍ، وترمي من استنكف عن ذلك بالكفر كما فعل غيرها، وهي لم تدعِ صوابية المعتقدِ وترمي المخالف بالضلال والانحراف كما فعل آخرون.

- ولأن غزة ميدان لظهور الإسلام ووضوح فكرته في كل العالم، فهي نموذج صمودٍ أسطوريٍ، وبطولاتٍ حقيقيةٍ، يدرك العالم أنها لا تكون إلا من قومٍ تشبعوا بإيمانٍ أسطوريٍ نادرٍ.

- ولأن الحديث يقول:{ يقاتلون}، ويقول: { قائمةٌ بأمر الله } فمهما جادل المجادلون فلا أحد يقوم بأمر الله الآن، ولا أحد يرفع اللواء الآن كما تفعل غزة، حتى أن مشاهد دمارها وجوع أطفالها، أصبح وخزة ضمير توقظ إحساس هذا العالم المتبلد، حتى أن العديد من التقارير تتحدث عن زيادات هائلة في نسبة الراغبين في التعرف على الإسلام وحقيقة المسلمين.

من أعظم بشريات الحديث لهذه الأمة، أن الحق لا يموت، وأن هذا الدين لا يستأصل، فلا تخافوا على دينكم، ولكن عليكم أن تخافوا أن يحمل هذا الدين ويدفع ضريبته أناس لا تكونوا معهم، ناهيك عن خذلانهم، فغزةُ ماضيةٌ تسير في طريقها، وتصنع لكم مجدًا ومستقبلاً، ولا يضرها من خالفها ولو كان العالم بأسره، ولا من خذلها ولو كانوا أهل الصلوات والخلوات.

كيف نُربّي أبناءنا على الصمود
في ضـــــوء السيرة النبوية

أ. زياد عبدالله طروه
ماجستير في الفقه والتشريع

إن العالم اليوم يتسارع فيه التغيير وتكثر فيه التحديات، حتى أصبح بناء شخصية (صامدة) لدى أبنائنا ضرورة تربوية لا تقبل التأجيل. فالصمود لا يُغرس في يوم وليلة، بل هو ثمرة تربية ممتدة، تتكامل فيها المؤسسات الثلاث البيت والمدرسة والمسجد، وتنطلق من هدي السيرة النبوية التي زوّدت البشرية بأعظم نماذج الثبات في وجه المحن.

لقد كان رسول الله ﷺ قدوة في الصبر والمثابرة، ربّى أصحابه على الإيمان العميق والثبات في أحلك الظروف. ففي مكة، حيث بلغت الفتنة أشدّها، ثبت الصحابة بفضل التربية النبوية. يقول النبي ﷺ لآل ياسر ضارباً لنا أروع الأمثلة في التربية يواسي تلك النفوس الضعيفة بكلمات، كلمات تعطي للحياة معناً، وتعطي للصبر طعماً: "صبراً آل ياسر، فإن موعدكم الجنة"، يربط الألم بالثواب، ليُعلّمهم أن الصمود ليس فقط خياراً، بل عقيدة.

ويعلّم النبي ﷺ عبد الله بن عباس وهو ابن عشر سنين: "احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك..." فيغرس في قلبه الثقة بالله كأساس للثبات. بهذا الأسلوب، تُبنى الشخصية الصامدة من الداخل، لا بالتحفيز المؤقت، بل بالربط العميق بين العبد وربه.

أما البيت، فهو مهد التربية الأول. فحين أُصيب النبي ﷺ بالفزع من أوّل نزول الوحي، كانت خديجة رضي الله عنها أول من ثبّته بقولها: "كلا والله ما يخزيك الله أبدًا"، فغرست فيه الطمأنينة، وبثّت في قلبه الثقة. فكيف لا نحرص على أن تكون بيوتنا اليوم منبعاً للأمان والدعم، لا منبعاً للقلق أو اللوم. فالبيت ليس للطعام والمبيت، بل هو لغرس القيم في نفوس أبنائنا.

وأما المدرسة، بدورها، ينبغي أن تكون بيئة لتكوين الشخصية، لا فقط لتلقين المعلومات؛ بل على المعلم أن يربّي طلابه على أن الفشل ليس نهاية الطريق، بل خطوة في مسار النجاح، وأن المبادئ أثمن من المكاسب. فالصمود وليد الطموح والإصرار، لا ثمرة الراحة والدّعة. يقول الشاعر:

ومن يتهيب صعود الجبال ... يعش أبد الدهر بين الحفر

وأما المسجد، فهو القلب النابض بالتربية الروحية والاجتماعية. لقد خرج من مسجد النبي ﷺ أعظم الرجال الذين واجهوا العالم بثبات ويقين. فعمارة المسجد ليست بالبناء فحسب، بل بالتزكية والتعليم والتربية.

وفي واقعنا اليوم، نحتاج إلى تربية أبنائنا على مواجهة الحياة لا الهروب منها، وعلى الحلم الطويل لا الإنجاز السريع. يجب أن يتعلّموا أن التحديات تصنع الرجال، وأن الصبر هو مفتاح الفرج. ومن الحكم: "إذا أردت أن تبني لسنة فازرع قمحاً، ولعشر سنوات فازرع شجرة، ولأجيال فازرع إنساناً".

وخلاصة الأمر: إن تربية الأبناء على الصمود تبدأ من غرس الإيمان، وتُبنى بالحكمة، وتستمر بالقدوة. فإذا تكاملت جهود البيت والمدرسة والمسجد، خرج جيلٌ قادرٌ على الثبات أمام المغريات، والتماسك في وجه الأزمات، مستلهماً من سيرة نبيه ﷺ نور الطريق، وثبات القدم.

معالم الثبات في كتاب الله

أ. رضوان أبو ثابت
محامي شرعي- الإجازة العالية في الشريعة الإسلامية

يقول الحق تبارك وتعالى في كتابه العزيز: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (السجدة: 24). وفي سورة العصر يقول: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (العصر: 1-3).

إن الثبات على الحق في زمن الفتن والمحن من أعظم مظاهر التوفيق الرباني، والتزود بالتقوى في أيام الشدائد باب كل فرج وتيسير. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ (الطلاق: 2). ومن وسائل الثبات على الحق: جهاد النفس، والصبر على الحق ولزومه بطاعة الله وترك معصيته، ومصاحبة الأخيار والحذر من الأشرار. والثبات على الحق من أبرز سمات الحق نفسه، فهو مطلب كل مؤمن بالله رب العالمين، وهدف كل داعية، لا سيما في هذا الزمن الذي كثرت فيه الابتلاءات والفتن بكل أنواعها، وتنوعت فيه وسائل الإضلال والإفساد، حتى أصبح القابض على دينه كالقابض على الجمر.

إن الثبات على الحق ولزوم الجادة واتباع الصراط المستقيم والحذر من اتباع البدع آية رشد المرء وبرهان تضحيته ودليل على سداد رأيه. وإن أرفع مراتب الثبات وأعلى درجاته ثبات القلب على الحق واستقامته على الدين وسلامته من التقلبات. قال رسول الله ﷺ: «أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان صلبًا في دينه اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على قدر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة» (رواه الترمذي).
ومهما مكر الأعداء بأهل الحق، فإن الله تعالى يمكر بهم ويرد كيدهم ويفشل سعيهم ويحيط بهم، حيث يقول تعالى: ﴿ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾.

ويقول أيضًا: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾(آل عمران: 139)، والعلو لا يناله إلا المؤمنون الصادقون، سواء قُدر لهم بالغلبة والتمكين أو أُدّخر لهم في الآخرة.

إن الدعوة إلى الله حتى تحيا وتثبت وتنتشر وتزدهر تحتاج إلى رجال ذوي تكوين خاص، رجال مخلصين عاملين يجاهدون ويضحون ويثبتون أمام المحن والابتلاءات والإغراءات والتحديات، ويصبرون على المشاق ويغالبون العقبات، فلا كلل ولا ملل ولا انقطاع ولا فتور. نعم، إن ثبات الرجال المسلمين الأقوياء أساس نجاح الدعوات ونجاح الأعمال، وهم يستلهمون هدي القرآن الكريم وسيرة سيد الأنام محمد عليه الصلاة والسلام. يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: 200)، ويقول أيضًا: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (البقرة: 177)، ويقول أيضًا: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ ۖ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ (البقرة: 214).

لقد جاء في حديث أبي عبد الله خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: شكونا إلى النبي ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، فقلنا: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو لنا؟ فقال: «قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها، ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، فما يصده ذلك عن دينه. والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون» (رواه الإمام أحمد).

ورد الحث على الثبات والاستقامة في كثير من آيات القرآن الكريم، ونحو الصبر والثبات لأن الطريق إلى هذا الدين محفوف بالهدى من الآفات والمهلكات والشهوات. ولم يتحلَّ بهذا إلا من تحلى بالصبر والثبات لتكون العاقبة حميدة. تلك سنة الله في الدورة، حيث يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ (محمد: 31). وقال الرسول ﷺ: «واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرًا» (رواه أحمد). أشار الرسول الكريم في هذا الحديث إلى أن الذين يستحقون النصر هم الصابرون على تحمل الأذى الكبير. ويقول أيضًا: «إنما ينصر هذا الدين بالصبر وبما يقسم لكم من الغنائم» (رواه البخاري وابن ماجه).

وفي ضوء هذا كله، فإن النصر يكون حليف الصابرين على الحق، ودعوتهم مبنية على سنة النبي المصطفى ﷺ وكتاب الله، وهو سبيلهم إلى العزة في الدارين. والذين آمنوا وعملوا الصالحات، فإن الله معهم، ولن يضيع أجر من أحسن عملًا. يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (فصلت: 30). هذا منهج المصلحين إذا كان الحق درعهم، وعزموا على الثبات، وتحملوا المشاق، وحافظوا على العهد، ومنعوا أنفسهم عن التصرف بالهوى.

إن من سنن الله المحكمة أن تكون الغلبة للحق، فصبرًا جميلًا! والله يقول: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فقد يدعى الإيمان كل أحد، فاقتضت حكمة الله أن يبتلي المؤمنين ليمحص الصادقين من الكاذبين.

إن الفرق بين المجاهد الصابر الثابت على الحق وبين الفئة الضالة كفرق الأرض والسماء. يقول الشاعر:

ربما اضطر الفتى قتل نفسه ... وإذا الجبان تنحى عن الوجاه

ومن هنا كان الثبات على المبدأ والصبر على الأذى من أهم سمات المؤمنين الصادقين والدعاة المخلصين، الذين يعلمون أن النصر المبني على الصبر والثبات هو النصر الحقيقي. يقول الله: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾ (الأحزاب: 23). وقال النبي ﷺ: «ما يزال البلاء بالمؤمن حتى يخرج نقيًا من ذنوبه» (رواه الترمذي).

فالله سبحانه يختبر عباده بالمصائب والمحن ليميز الصادقين من المنافقين. وإن المسلم الحق يستشعر عظمة الثواب على الصبر، ويوقن أن ما يصيبه من هم أو أذى هو كفارة لذنوبه. قال ﷺ: «ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه» (متفق عليه)، فثباتنا على مبادئنا، واستقامتنا على ديننا الحق، وتمسكنا بمنهج النبي ﷺ، يعطينا القوة أمام التحديات. فلا ضعف ولا تراجع، بل ثبات وإصرار. فدعوتنا كالشجرة الطيبة: أصلها ثابت وفرعها في السماء، جذورها لا تزداد على المكائد إلا ثباتًا ورسوخًا، وساقها لا تزداد على الابتلاءات إلا قوة وسموقًا، وأغصانها لا تزداد على كثرة الرمي إلا ثباتًا وإثمارًا، فهي تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.

نعيش اليوم ألمًا مريرًا يبرز أهمية الثبات والاستقامة كسبيل للشفاء والتمسك بالحق، كما أوصانا رسولنا الكريم ﷺ، وقد قال: «يأتي على الناس زمان القابض على دينه كالقابض على الجمر» (رواه الترمذي عن أنس بن مالك). وفي هذا الزمان الذي كثرت فيه الفتن، يصبح الثبات على الحق كالقابض على الجمر، فهو دليل على صدق الإيمان وسلامة القلب.

نماذج من ثبات الرسول ﷺ والصحابة الكرام

هذا الرسول ﷺ مجاهدًا في سبيل الله، ثابتًا أمام المحن والابتلاءات والإغراءات والتهديدات. فقد عرض عليه المشركون الشأن والمال والجاه مقابل التنازل عن دعوته، فقال كلمته المشهورة: «والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه» (رواه ابن هشام).

وهؤلاء الصحابة الكرام، مثل بلال بن رباح وآل ياسر وغيرهم، ضربوا أروع الأمثلة في الثبات والصبر على الأذى في سبيل الله. تحملوا العذاب والتنكيل ولم يتراجعوا عن دينهم. وكذلك كثير من الدعاة والمصلحين عبر التاريخ، الذين دافعوا عن الدين عقيدة ومنهجًا، وثبتوا في السجون والمحن صابرين محتسبين، بل ناضلوا في سبيل كلمة التوحيد: «لا إله إلا الله»، ويقول الشهيد سيد قطب رحمه الله: «إن الذي يحمل العبء الكبير يعيش كبيرًا ويموت كبيرًا، والذي يحمل العبء الصغير يعيش صغيرًا ويموت صغيرًا».

دعوة للصمود والرباط

أ. محمود الحجار
رئيس قسم تحفيظ القرآن / طولكرم

يقول الله تعالى في خاتمة سورة آل عمران: (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون). والرباط هو الإقامة في الثغور، وملازمة المكان بين المسلمين والكفار لحراسة المسلمين، أي أقيموا على الجهاد. وقال عليه السلام: (إن لكل أمة سياحة، وإن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله، وإن لكل أمة رهبانية، ورهبانية أمتي الرباط في نحور العدو) (الطبراني عن أبي أمامة).

وقد ذكر الله تعالى عن جماعة من المسلمين، يمتدح موقعهم وعملهم، والمتأمل في ذلك يوقن أن الله قد جمع ذلك كله لأهل بيت المقدس، فقد قال في وصفهم: (ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله، ولا يطأون موطئًا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً إلا كتب لهم به عمل صالح، إن الله لا يضيع أجر المحسنين). وقال سبحانه: (وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرًا عظيمًا).

وإن من عظيم فضل الله على أمة الإسلام أن خص بيت المقدس بكثير من الفضل، وخص أهل فلسطين بالسكن فيه ليكونوا مرابطين. فعن ذي الأصابع، قال: قلنا: يا رسول الله، أرأيت إن ابتلينا بالبقاء بعدك، أين تأمرنا؟ قال عليه السلام: (عليك ببيت المقدس، لعل الله يرزقك ذرية يغدون ويروحون إليه، يعني مسجد بيت المقدس)، أخرجه الإمام أحمد في المسند. وجاء في مسند الشاميين عن مكحول، قال: دخلنا على واثلة بن الأسقع، فقلنا له: حدثنا بحديث سمعته من رسول الله، فقال: سمعت معاذًا وحذيفة يستشيران النبي عليه السلام في المنزل، فأومأ إليهما بالشام، ثم استشاراه فأومأ إليهما بالشام، ثم استشاراه فأومأ إليهما بالشام، قال في الثالثة: (عليكم الشام، فإنها صفوة بلاد الله، يسكنها خيرته من عباده، ومن أبى فليلحق بيمنه وليسق من غدره، فإن الله قد تكفل لي بالشام وأهله).

وجاء في كتاب حياة الصحابة للكاندهلوي عن أرطاة بن منذر أن الفاروق عمر، قال لجلسائه ذات يوم: أي الناس أعظم أجرًا؟ فجعلوا يذكرون له الصوم والصلاة، ويقولون: فلان وفلان بعد أمير المؤمنين. فقال: ألا أخبركم بأعظم الناس أجرًا ممن ذكرتم ومن أمير المؤمنين؟ قالوا: بلى. قال: رجل بالشام، آخذ بلجام فرسه، يكلأ من وراء بيضة المسلمين، لا يدري أسبع يفترسه، أم هامة تلدغه، أو عدو يغشاه؟ فذلك أعظم أجرًا ممن ذكرتم ومن أمير المؤمنين. كذا في كنز العمال.

عن أبي أمامة الباهلي، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أهل الشام وأزواجهم وذراريهم وعبيدهم وإماؤهم إلى منتهى الجزيرة مرابطون في سبيل الله، فمن احتل منها مدينة من المدائن فهو في رباط، ومن احتل منها ثغرًا من الثغور فهو في جهاد (الطبراني وابن عساكر).

وقال صلى الله عليه وسلم: عليكم بالجهاد، فإن أفضل جهادكم الرباط، وإن أفضل رباطكم عسقلان (الطبراني). وعن سلمان الفارسي، قال: سمعت رسول الله يقول: رباط يوم وليلة كصيام شهر وقيامه، فإن مات جرى عليه الرباط ويؤمن من الفتان ويقطع له رزق في الجنة (رواه مسلم). وعن أبي كعب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لرباط يوم في سبيل الله من وراء عورة المسلمين محتسبًا، من غير شهر رمضان، أعظم أجرًا من عبادة مائة سنة صيامها وقيامها، ورباط يوم في سبيل الله من وراء عورة المسلمين محتسبًا من شهر رمضان أفضل عند الله وأعظم أجرًا، (أراه قال) من عبادة ألف سنة صيامها وقيامها، فإن رده الله إلى أهله سالمًا لم تكتب عليه سيئة ألف سنة، وتكتب له الحسنات، ويجرى له أجر الرباط إلى يوم القيامة) (سنن ابن ماجة).

في ظلال قولـــــه تعالى

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ
وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ

أ. إبراهيم الجالودي
داعية إسلامي

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

في ظل الأزمات التي تعصف بالإنسان، يبقى الاستهداء بالقرآن الكريم ملاذًا آمنًا ونورًا يهدي الحائرين. فالقرآن ليس مجرد كتاب يُتلى، بل هو هداية شاملة ترشد الإنسان إلى السكينة والثبات وقت المحن. يجد المؤمن في آياته توجيهات تعزز الصبر، وتغرس الأمل، وتذكّره بأن الفرج يأتي بعد الشدة، وأن الله لا يخذل من توكل عليه. في كل أزمة، يفتح القرآن أبواب الطمأنينة، ويعيد ترتيب الأولويات، ويوجه القلب إلى ما ينفعه في الدنيا والآخرة؛ فمن واجب الإنسان أن يعيش في أوقات الفتن والمحن والأزمات تحت ظلال الآيات، فتعالوا نعيش في ظلّ آيةٍ من آياته.

يقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)، يا أيها الذين آمنوا: ينادي الله تعالى عباده المؤمنين بأحب الألقاب إليهم وأحبها إليه، ناداهم الله تعالى بهويتهم العظمى، بهوية الإيمان لا هويات العصبية والقبلية والحزبية. لم ينادهم الله تعالى بهويات ورايات تمزقهم وتشتتهم، لم ينادهم بهوية سايكس بيكو، بل بهوية العقيدة الراسخة التي تربط بين العباد وبين رب السماوات والأرض. وفي هذا إشارةٌ إلى أن فلاح المؤمنين في اجتماعهم ونبذ الخلافات والرايات.

ثم أمر الله تعالى عباده المؤمنين بالصبر. والصبر هو حبس النفس على طاعة الله، وعن معصية الله، وعن الجزع على أقدار الله وأقضيته.

أمرهم الله بالصبر: اصبروا على ما أصابكم، اصبروا في وقت الفتن والمحن، اصبروا على ضيق العيش، اصبروا وإن مات الأبناء وإن هدمت البيوت وجاع الأبناء، اصبروا فإن الله تعالى قال: (إنما يُوَفَّى الصابرون أجرهم بغير حساب).

وقد قال ابن القيم رحمه الله: أين أنت والطريقُ، طريقٌ تعب فيه آدم، وناح لأجله نوح، ورُمي في النار الخليل، وأُضجع للذبح إسماعيل، وبيع يوسف بثمن بخس، ولبث في السجن بضع سنين، ونُشر بالمنشار زكريا، وذُبح السيد الحصور يحيى، وقاسى الضرّ أيوب، وزاد على المقدار بكاءُ داود، وعالج الفقر وأنواع الأذى محمد ﷺ.

قال تعالى: (الم ۞ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ)

أحسبتم أيها الناس أن يتركنا الله على قولنا بألسنتنا أننا آمنا؟ لا والله، ليست هذه سنة الله، بل سنة الله الابتلاء والتمحيص ليخرج معادن الناس (فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ).

(وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ)
سُحِبَ على البطحاء بلال الحبشي، وسُجِنَ وجاع وعطش خالد بن العاص، وأُحميت الحجارة على ظهر خباب بن الأرت، وطُعنت سمية الخياط، أفلا نُبتلى ونُمتحن نحن؟!

وقد قال ﷺ عندما سُئل عن البلاء: "أيُّ النَّاسِ أشدُّ بلاءً؟ قال: الأنبياءُ ثمَّ الأمثلُ فالأمثَلُ، فيُبتلى الرَّجلُ على حسَبِ دينِه، فإن كانَ في دينِهِ صلبًا اشتدَّ بلاؤُهُ، وإن كانَ في دينِهِ رقَّةٌ ابتلِيَ على حسَبِ دينِه، فما يبرحُ البلاءُ بالعبدِ حتَّى يترُكَهُ يمشي على الأرضِ ما عليهِ خطيئةٌ."

وقد قال الله تعالى قبل قوله : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)، قال قبلها: (لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ) أي لا يغرنك قوتهم وتجارتهم وأموالهم ودباباتهم وطائراتهم وعتادهم وعدتهم، فإن هذا كله متاع قليل وفترة وتمضي. والعاقبة للمؤمنين والنصر للإسلام؛ فقد قال تعالى: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾.

نزلت هذه الآية في أوائل المرحلة المدنية للمسلمين، والمسلمون قلة ضعاف لم تكن لهم قوة في الأرض، ثم ما لبثت السنوات إلا وقد فتح الله لنبيه ولأصحابه مشارق الأرض ومغاربها، ومكن للمؤمنين ما وعدهم. ولا يزال وعد الله قائمًا لمن أقام الدين ونصر الشريعة والإسلام بأن يجعل لهم العاقبة وحسن الختام.

وإن الإيمان بوعد الله وبنصره واجب حتمي على الإنسان، ويحرم عليه اليأس والقنوط من رحمة الله تعالى: (وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ)، وقد أمر الله تعالى في الآية الكريمة بالرباط: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)

والرباط هو الإقامة في الثغور التي يُخشى على أهلها من أعداء الإسلام، والرباط هو من أفضل الأعمال التي يتقرب بها العبد إلى الله تعالى، فقد قال رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: "رِبَاطُ يَومٍ في سَبيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وما عَلَيْهَا." (صحيح البخاري).

رباط يومٍ في سبيل الله خيرٌ من هذه الدنيا، خيرٌ من مالها وذهبها وقصورها ونسائها وأولادها، خيرٌ مما حملت هذه الأرض. وخير الرباط عسقلان كما قال صلى الله عليه وسلم؛ يعني أنه لا رباط يفوق رباط أهل هذه الأرض، ولا صبر يعدل صبركم، ولا دفع يعدل دفعكم ولا تضحيات تعظم تضحياتكم، وقد قال ﷺ: "موقفُ ساعةٍ في سبيلِ اللهِ خيرٌ من قيامِ ليلةِ القدرِ عندَ الحَجرِ الأسوَدِ." والحديث صحيح.

موقف ساعة في سبيل الله: ساعة إعداد، ساعة خوف، ساعة قصف، ساعة جوع، ساعة عطش، ساعة من الرباط في هذه الأرض، خيرٌ من قيام ليلة القدر بعزها وشرفها وقدرها ومكانتها وبركتها. وليلة القدر خيرٌ من ألف شهر. وعند الحجر الأسود، والحسنة عند الكعبة بمائة ألف حسنة، وليلة القدر عند الكعبة بمائة ألف ليلة قدر. لرباط ساعة في سبيل الله خيرٌ من هذا الأجر الذي ذكرناه.

فالصبر الصبر، والرباط الرباط، وتجديدُ النيّات. طعامك رباط، ونومك رباط، وعملك رباط، أنت مستهدف، أنت على ثغر، وفي نهاية الآية أوصى الله تعالى عباده المؤمنين بتقوى الله تعالى، فهي السبيل إلى النجاة في الدارين الدنيا والآخرة، ولا فلاح ولا نصر ولا توفيق إلا بتقوى الله تعالى.

نساء فلسطين
ركائز الثبـــات

في غزة التي تحترق منذ أكثر من ستمائة يوم، وتعاني المجاعة بعد شهرين من إغلاق المعابر الذي ما زال مستمرًا إلى الآن، لم تقف نساء غزة مكتوفات الأيدي حزنًا على الفقد الذي أصاب كل بيت، أو كدرًا على جوع أبنائهن، أو خوفًا مما قد يقع والطائرات الحربية والمدفعيات لا تتوقف لحظة واحدة. لم يتراجعن حزنًا ولا كدرًا ولا خوفًا، بل وقفت كلّ منهن على ثغرٍ تقوم بحقه، تؤدي وظيفة تلبي بها حاجة جائع أو مريض أو جريح.

منهن نموذج يُتوقف عنده طويلًا، الدكتورة آلاء النجار، طبيبة أطفال في مجمع ناصر الطبي في خانيونس. تقف على قدميها منذ الفجر، كعادتها كل يوم في المشفى، تُسعف وتُنقذ، وتضمّد جراح أطفال كثر، بعد أن استودعت الله أبناءها العشرة مع والدهم في منزلهم. إلا أن هذا اليوم انتهى على الطبيبة المعطاءة ببلاءٍ غير متوقع، فعندما دخل أبناؤها إلى المشفى أشلاء متفحمة، سبقها تسعة منهم إلى الجنة، أكبرهم يحيى ابن الاثنتي عشرة سنة، وأصغرهم رضيعة لم تكمل عامها الأول بعد. ولم يبقَ من أبنائها إلا آدم، جريحًا مصابًا هو ووالده في العناية المركزة.

كل طفل من أطفالها الشهداء يحمل قطعة من روحها، ولُمسات من حنانها، وشيئًا من ملامح وجهها. ودّعتهم إلى الجنان في ليلة ثقيلة، ولم تكن هذه الليلة الأولى التي تُبتلى فيها نساء فلسطين.

فمنذ قرن من الجراح، والأرض تُنجب نساءً من طراز نادر، يحملن في أرحامهن أوطانًا، ويُرضعن عزة، ويربين رجالًا أشداء، ويودّعنهم على أعتاب الشهادة كما تودّع الزهرة الندى، بخفة ورضا.

وليست هذه قصة وحيدة، بل واحدة من قصص متكررة في البيت الفلسطيني. ونذكر على سبيل المثال قصة أم من أمهات جنين المناضلة، الأسيرة المحررة أم العبد أبو الهيجا. أسيرة محررة عانت مرارة الأسر والفقد، وصبرت على فراق الأحبة بين أسير وشهيد. فهي زوجة شهيد مساندة له، وأم الشهيد حمزة أبو الهيجا، وأم الأسرى عبد السلام وعاصم وبنان. رحلت إلى الآخرة صابرة محتسبة، تاركة أثرًا خالدًا في الذاكرة الفلسطينية، ونموذجًا من نماذج الصبر والصمود والإباء. رحلت وحُرم أبناؤها خلف القضبان من لحظة الوداع، رحلت وقلبها معلق بأبنائها الذين يترقبون اللقاء، وما زالوا يترقبون لقاءً دائمًا لا ينقطع، يجمعهم بأخيهم الشهيد وأمهم الصابرة، ويعيد لم شملِهم حيث لا ألم ولا حزن ولا فراق.

اجتمعت على أهل هذه الأرض كل أنواع البلاء، وأشد أشكال الاختبار التي جمعها رب العالمين في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: 155]

اجتمع الخوف والجوع ونقص الأموال والأنفس والثمرات، فالبشرى لمن صبر واسترجع، وأيقن أنه وماله وولده وداره لله، وأن لله ما أعطى ولله ما أخذ. أيقن وقال: "إنا لله"، وآمن أن البلاء على شدته زائل، وأن الفقد المر مؤقت، وأن الخوف والجوع ينقضيان، والموعد جنة تنسي الشقاء، يوم "يُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ، مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ".

المعلم ورسالة الثبات

أ. وليد حسن محمد عبدالرحمن
إمام وخطيب

في زمن تتكاثر فيه التحديات وتُشنُّ فيه الحملات على الهوية والثوابت، يَبرز المعلم كأحد أعمدة الثبات والاستقرار في المجتمع؛ فدوره يتجاوز التعليم الأكاديمي إلى بناء الوعي، وترسيخ القيم، وتحصين الأجيال ضد محاولات الطمس والانحراف.

إن رسالة المعلم، خصوصًا في البيئات المستهدفة كفلسطين وسائر بلاد الأمة، هي رسالة رباطٍ وصمود لا تقلّ قدسية عن أي جبهة من جبهات الدفاع. فالثبات في ميدان التعليم يعني الإصرار على غرس المعاني الكبرى: الانتماء، والحرية، والكرامة، ومركزية العقيدة، في نفوس الطلبة.

ولعل أخطر ما يستهدفه أعداء الأمة هو تفريغ العقول من هويتها، وإفراغ النفوس من عزيمتها، وهنا تتجلى أهمية المعلم الذي يقف حائط الصد أمام موجات التغريب والتزييف؛ فهو من يربط الطالب بتاريخه، ويغذّيه بالقيم الأصيلة، ويفتح أمامه أبواب الفهم السليم لدينه وقضاياه.

إن الثبات الذي يُنتظر من المعلم ليس موقفًا لحظيًّا، بل مسار متكامل من الانضباط، والالتزام، والصبر على أداء الرسالة. فكم من معلمٍ يُدرّس تحت ضغط الاحتلال، أو الفقر، أو ضيق الإمكانيات، لكنه لا يفرّط في رسالته، بل يعلّم بثقة، ويؤدّي أمانته بوعي، ويحتسب كل جهدٍ في سبيل الله.

وتدلنا نصوص الوحي على مكانة من يحمل العلم ويعلّمه، قال تعالى: "يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات" [المجادلة: ١١]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير" [رواه الترمذي]. وهذه النصوص تضع المعلم في موقع الصدارة في البناء الحضاري.

وفي السياق الفلسطيني، يظهر المعلم كثائر بالكلمة، ومجاهد بالقلم. هو الذي يُبقي الجيل متيقظًا لما يُحاك لقضيته، ويعلّمه أن النكسة لا تعني الهزيمة، وأن الحرية حق، وأن للقدس مكانة لا تُنازَع فيها.

بل إن المعلّم الصادق يُسهم في تربية عقول نقدية، لا تنساق خلف الروايات المُشوّهة، ويغرس في طلابه حب البحث والتمحيص، في وقتٍ تزداد فيه حملات التضليل وتشويه الحقائق.

وهكذا، فإن الثبات الذي يقدّمه المعلم يتجاوز شخصه، ليكون لبنة في صرح الأمة، وسهمًا في معركة الوعي. وهو حين يزرع قيم الثبات في تلاميذه، يُعدّهم ليكونوا هم أنفسهم معلمين في المستقبل، يحملون الشعلة، ويواصلون السير على درب البناء والصمود.

من هنا، لا بد من دعم المعلم، وتقدير دوره، وتوفير البيئة التي تمكّنه من أداء رسالته؛ فكل أمة تنهض بعلمائها ومعلّميها، وكل حضارة تبدأ من مدرسة، وكل ثورة وعي تبدأ بكلمة صادقة في فصلٍ متواضع.

أنا وَطَنٌ

أ. معالي خضر بشارات
شاعرة وأديبة

وصبرُ الليلِ يُوقـــدُ منْ رُؤايا ... ويُزهرُ في المَسافَة منْ خُطايا

تَرقَّبْ يا ظلامُ إنّ نـــــوري ... سَيعبرُ للفَضـــــاء هُدىً وَآيا

سَأمضي والرياحُ على جَناحي ... تَهـــــبُّ على أمانينا العَطايا

ومهما ضاقَ في دربي فَضاءٌ ... ستشــرق كالسحاب على البرايا

غَزلنْا الحلمَ من ضـوءِ الأَماني ... ثيابُ الصبحِ تُلبـــسُ من مُنايا

وفي عيني سينمو كل مجــد ... يُحطِّمُ زندَ قيـــــدٍ منْ أَسايا

أُخبِّئُ في دَمي أمَلا عَنيـــــد ... الأزهرِ كالحنـــانِ على الحَنايا

فَمنْ أَنيابِ سجنٍ قدْ خَرجــنا ... نُضمّدُ جُـــرحَ عمرٍ في الثَنايا

أنا وَطنٌ وفيه كلَّ حُـــــرٍ ... ثمارُ العــــزِّ تُسقى من سَمايا

تَحطّمَ جفنُ ليلٍ من فــؤادي ... وأفراحٌ سَتُمطِـــرُ في الحَشايا